

إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَاءُ،

لِتَعْلَمَ أَنَّ الصَّيَامَ لَيْسَ عِبَارَةً عَنْ تَرْكِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالجِمَاعِ مِنَ الفَجْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ. بَلْ يَشْمَلُ الصَّيَامَ تَمَامَ الْبَدَنِ وَالذَّهْنِ. فَأَفَادَ الْإِمَامُ الغَزَالِيُّ (رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أَنَّ مِنَ الصَّوْمِ كَفُّ السَّمْعِ، وَالبَصَرِ، وَاللِّسَانِ، وَالْيَدِ، وَالرِّجْلِ، وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْأَثَامِ. وَكَذَا يُضَافُ إِلَيْهِ صَوْمُ الْقَلْبِ.^٣ وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْمَيَّةِ هَذِهِ الْأُمُورِ بِالْحَدِيثِيْنِ التَّالِيْيْنِ: فَرُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلِيَسْ لَهُ حَاجَةٌ أَنْ يَدْعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»^٤ وَقَالَ النَّبِيُّ الْأَكْرَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صَيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطْشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهْرُ»^٥

إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرِامُ،

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَدِيثِ قُدْسِيٍّ: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدْعُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ مِنْ أَجْلِي وَشَهَوَتِهِ لِي»^٦ فَمَنْ أَدْرَكَ تِلْكَ الْحَقِيقَةَ حَقَّ إِدْرَاكِهَا مِنَ الصَّالِحِينَ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْبُغِي تَصْفِيهُ الْقُلُوبُ عَنِ الْهَمِ الدِّينِيِّ، وَالْأَفْكَارِ الدُّنْيَاوِيِّ، وَكَفَهُ عَمَّا سُوِّيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْكُلِّيَّةِ. وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُهْمِلُونَ مَسْؤُلِيَّاتِهِمُ الدُّنْيَاوِيَّةِ. بَلْ يُوفُونَ بِمَا عَلَيْهِمْ فِي الْمَدْرَسَةِ كَانُوا أَوْ فِي الْعَمَلِ. فَهُمْ مَعَ الْحَقِّ مَعَ أَنَّهُمْ بَيْنَ الْخَلْقِ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَأَعْلَى دَرَجَاتِ الصَّيَامِ.

رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى طُولَ الْقِيَامِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَالْمُشَارِكَةُ فِي السُّحُورِ وَالإِفْطَارِ، وَالْمُقَابَلَةُ، وَصَلَاةُ التَّرَاوِيْحِ. وَرَفَعَ صَيَامَنَا إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ. آمِين



الْحَمْدُ لِلَّهِ! قَدْ سَمِعَ اللَّهُ نِدَاءَنَا وَأَوْصَلَنَا إِلَى آخرِ شَهْرِ شَعْبَانَ. وَمَسَاءَ الْأَحَدِ سَنَشَهَدُ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي كُنَّا نَشْتَاقُ إِلَيْهِ كُلَّ الْإِشْتِيَاقِ أَخِيرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. سُنْحَبُ بِهِذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ بِأَوَّلِ صَلَاةِ التَّرَاوِيْحِ فَنَدْخُلُ بِهَا إِلَى جَوَهِ الرُّوحِيِّ. فَتُصَدَّدُ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجَنِّ، وَتَغْلَقُ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ. وَتُفْتَحَ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ. وَسَيِّنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلُ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَفْصِرُ، وَلَلَّهِ عُتْقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلَّ لَيَّلَةٍ^١ ثُمَّ سَتَتَسْحَرُ فَنَصُومُ فَنْشَارِكُ فِي الْمُقَابَلَةِ ثُمَّ تُنْفَطِرُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِإِذْنِ رَبِّنَا. كَذَلِكَ عَلَيْنَا بِالْإِسْتِعْدَادِ لِأَدَاءِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ وَالزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ بِحِسَابِ الْمُبْلَغِ الصَّحِيحِ. وَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ لَفُرْصَةٌ عَزِيزَةٌ لِتُنْتَظَرُ إِلَى أَعْمَالِنَا لِتَتَبَيَّنَ لَنَا خَطَايَانَا حَتَّى نُصْلِحَ أَنفُسَنَا وَنَحْمِلَ حَيَاتَنَا الدِّينِيَّةَ إِلَى دَرَجَاتٍ أَعْلَى.

إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكَرِامُ،

إِنَّ فَضَائِلَ شَهْرِ رَمَضَانَ لَا تُحْصَى. وَلَا شَكَّ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ الصَّوْمُ فِيهِ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصَّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^٢ فَأَهَمُّ مَا نَتَعَلَّمُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ أَنَّ صَيَامَ رَمَضَانَ فَرِضٌ كَمَا كَانَ فَرِضًا عَلَى الْأُمُمِ السَّابِقَةِ وَأَنَّ حِكْمَةَ الصَّيَامِ وَغَايَتِهِ وُصُولُ الْإِنْسَانِ إِلَى مَقَامِ التَّقْوَى. فَتُسْتَهْدَفُ تَرْكِيَّةُ النَّفْسِ وَالسَّيِّطَرَةُ عَلَيْهَا حَتَّى يَتَسَرَّ لَنَا إِلَلْتِزَامُ بِأَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ. فَشَهْرُ رَمَضَانَ بِمَنْزِلَةِ مَدْرَسَةٍ تُؤَدِّبُ شَخْصِيَّتَنَا وَتَهَذِّبُ أَخْلَاقَنَا. فَإِنَّا نَتَرُكُ فِيهِ الْحَلَالَ لِمُدَدَّةٍ مُعِيَّنةٍ حَتَّى نَتَعَوَّدَ عَلَى تَرْكِ الْحَرَامِ. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ يُعْلَمُنَا الصَّيَامُ مُحَاسِبَةَ النَّفْسِ، وَالْتَّعَاوُنِ، وَالْمُشَارِكَةَ فِي الْإِفْطَارِ. وَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ الْوَسَائِلِ لِتِقْوِيَّةِ الْمُجَتَمِعِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَالَمَاتِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

^٤ صحيح البخاري، كتاب الأدب، ٥١، رقم الحديث (٦٠٥٧)

^٥ مسنون الإمام أحمد، رقم الحديث (٨٦٩٣)

^٦ الطحاوي: شرح مشكل الآثار، ج ٧ ص ٤٢١، رقم الحديث (٢٩٧٥)

^١ انظر سنن الترمذى، كتاب الصوم، ١، رقم الحديث (٦٨٢) – بتصرف يسير

^٢ سورة البقرة: ١٨٣

^٣ انظر أبو حامد الغزالى: إحياء علوم الدين (٢٠١١)، ج ٢ ص ١١٠